

ترجمة السينوغرافيا للرؤية الإخراجية: من الفكرة المجردة إلى المشهد المرئي
From the abstract idea to the visual scene: translating scenography to the directorial vision

براهيمي بوشينة*¹، أ.د. غالم نقاش²

¹جامعة وهران 1، الجزائر، brahimiboutaina@gmail.com

مخبر أرشفة المسرح الجزائري - جامعة وهران 1

²جامعة وهران 1، الجزائر، nekkacheghalem@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/09/04 تاريخ القبول: 2024/01/13 تاريخ النشر: 2024/01/26

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى توضيح العلاقة بين المخرج والسينوغراف، أو بالأحرى، كيف يترجم السينوغراف أفكار المخرج ونصه، وبالأخص رؤيته الإخراجية، قصد تفسير المؤشرات السيميولوجية والمرجعية التي تكتنفها.

كلمات مفتاحية: الإخراج، الرؤية، السينوغرافيا، المخرج، السينوغراف

Abstract:

This research aims to clarify the relationship between the director and the scenograph, or rather, how the scenograph translates the director's ideas and text, especially his directorial vision, with the aim of interpreting the semiological and referential indicators that surround them.

Keywords: directing; vision; scenography, director, scenograph.

1. مقدمة:

يعد الإخراج أكثر الأمور تعقيدا في العملية الإبداعية، فهو عبارة عن خطة متناهية الدقة، تجمع بين الجانب الإبداعي/الفكري والجانب التقني/العملي، وقد يكون العنصر الأهم في هذه العملية هو الرؤية الإخراجية، فهي من تقوم بتنظيم العمل وتأطيره، فهي بمثابة ترجمة لأفكار المخرج على أرض الواقع كما أنها تضع الحدود للجانب الإبداعي، حتى لا يدخل المخرج في متاهات أفكاره، وأن يكون عمله صافيا دون شوائب تحيل المتلقي عن فهمه، وتعتبر السينوغرافيا وسيلة من وسائل تحقيق هذه الرؤية فكيف تكون العلاقة بين الاثنين؟ هل هي علاقة تكامل، أم أن كلا منهما يحاول فرض أفكاره؟

يهدف هذا المقال إلى البحث في علاقة فن الإخراج والسينوغرافيا وعن طبيعة العلاقات بين المخرج والسينوغراف، وقد اعتمدنا في هذه المحاولة على العديد من المناهج أهمها الوصفي والاستقرائي.

2. مفهوم الرؤية الإخراجية:

1.2 لغويا:

الرؤية بالعَيْن تتعدى إلى مفعول واحد، وبمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين؛ يقال: رأى زيداً عالماً ورأى رأياً ورؤيةً ورأه مثل راعة. وقال ابن سيده: الرؤيةُ النظرُ بالعَيْن والقلب¹، وهي مصدر للفعل رأى، فالرؤية تنشأ من خلال التجربة والمراقبة المستمرة والتدريب المستمر الذي يساهم في خلق الخبرة وبالتالي الرؤية هي التنبؤ والإدراك والشعور والتفكير والإحساس

¹ابن المنظور م.س، ص 1538.

والاستنتاج، حيث تحمل مواضيع وأفكار متعددة لما لها من أهمية بالغة في خلق العمل الفني والنص المسرحي².

2.2 اصطلاحا:

يقول الباحث أحمد أمل: "الرؤية هي الفكرة الأساس المستخلصة كتصور [...] وتتشكل بالفهم وإدراك الصور [...] وهي الاختلاف الحاصل ما بين المخرجين لنص واحد، ولا يمكن أن تسمى رؤية إلا بالباسها شكلا"³ فالرؤية هي عبارة عن تصور لفكرة ما، ويقول ألكسندر دين أن هذا التصور ينبع من تجربة عميقة قد أثرت على مسار حياته، ويمكن أن تكون هذه تجربة عامة أو مشتركة،⁴ فالرؤية الإخراجية تعتبر كحالة لا شعورية تتكون عند الفنان أو المخرج بشكل خاص، فهي البصيرة التي تحول النص الدرامي إلى عمل مسرحي تدب فيه الحياة. هي صياغة العمل الفني بناء على قدراته الفكرية والمعرفية وبما يمتلكه من خيال واسع ينتج عنه عمل فني يدل عن خلفيته الثقافية والاجتماعية.⁵

"إن أي رؤية تعتمد على ثلاث عناصر وهي الرائي، بذكائه وعبقريته وحسه وثقافته ومعتقداته وشعوره بالانتماء، والعنصر الثاني هو الواقع الاجتماعي والاقتصادي وقوى التحريك في هذا الواقع، أما العنصر الثالث فهو التوجه الخالص للخالق من خلال طموحه وقدراته وتمكنه من أدوات خلقه. وما إن تصل الرؤيا إلى المتلقي بوسائلها وتأخذ الرؤيا طريقها على مراحل ابتداء من إدراك وتصور المخلوق حتى تكامل العمل الفني ونضوجه"⁶,

² عوار نادية، تقنيات السينوغرافيا وعلاقتها بالرؤية الإخراجية، ماجستير تحت إشراف راس الما عيسى، السنة الجامعية 2013/2014 ص 26

³ حمد أمل، نظرية فن الإخراج المسرحي (دراسة في إشكالية المفهوم) الجزء الأول، مطبعة دار النشر المغربية عين السبع الدار البيضاء، ط1، ص 12

⁴ انظر ألكسندر دين، ترجمة سعدية غنيم، مراجعة محمد فتحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المكتبة العربية، ص 15

⁵ مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية العدد 35، الصادر 2019/10/1، بحوث الفنون ص 206.

⁶ عبد الباسط سلمان، مفهوم الإخراج التلفزيوني وتطوره، محاضرة موقفة، كلية الإعلام جامعة بغداد، 2015، ص 98

أي أن المخرج يتأثر بواقعه المعاش، وتجاربه السابقة، وتتبلور رؤيته العامة والفنية للعمل الذي هو بصدد إخراجه.

3. الرؤية الإخراجية لدى المخرج المسرحي:

"الإخراج مصطلح مسرحي ظهر مع تبلور العملية الإخراجية كوظيفة مستقلة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ومصطلح الإخراج بالمعنى الواسع للكلمة يدل على تنظيم مجمل مكونات العرض من ديكور، وموسيقى، إضاءة، وأسلوب الأداء، والحركة... الخ وصياغتها بشكل مشهدي وهذه العملية يمكن أن تصل إلى حد تقديم رؤية متكاملة للمسرحية هي رؤية المخرج وتحمل توقيعها"⁷ أي أن العمل المسرحي لا بد أن يحمل بصمة المخرج وذلك من خلال الرؤية - فالرؤية هي الفكرة الأساس المستخلصة كتصور حاصل للمخرج بفهمه لنص ما، وترجمته لذلك التخيل الذي يدور في عقله، ولا يمكن أن تسمى رؤية إلا بالبأساها شكلا والذي تتجلى في وسائل الإخراج من سينوغرافيا وموسيقى - نافخا الروح في جسد النص، ومزودا إياه بألوان الحياة.

يعرف الكاتب عقيل مهدي "الرؤية الفنية بأنها" تمثل رؤية الفنان، قدرته على صياغة حركة عناصره التكوينية والشكلانية للنتاج واجتلابها من عالم المخيطة الجامحة والمشاكسة إلى عالم الواقع الموضوعي وهي التي تدفع بحركة العالومات إلى بث خطاب يؤولها المتلقي"⁸، فالمخرج يستعين بالوسائل السمعية (الموسيقى والمؤثرات الصوتية) والبصرية (السينوغرافيا) من أجل تجسيدها.

⁷ ماري إلياس، وحنان قصاب، المعجم المسرحي، مفاهيم ومصطلحات المسرح، وفنون المسرح، مكتبة لبنان ناشرون، ط2، 2006، ص07.

⁸ يوسف عقيل مهدي، أفقعة الحداثة، دراسة تحليلية في تاريخ الفن المعاصر، بغداد، دار دجلة، 2010، ص6.

4. السينوغرافيا:

1.4 لغويا:

هي كلمة لاتينية ذات أصل إغريقي، تتكون من شقين: "سينو = (σκηνος)skenos=sceno" و"غرافيا=graphein=γραφία)، وتعني تزيين المنصة أو زخرفتها، وتطور مفهوم هذه الكلمة ليشمل كل العناصر المرئية الموجودة على الركح، وقد اشتقت هذه الكلمة في عصر النهضة من طرف المعمارين. حيث يؤكد مارسيل فريدفورت بأنها ولدت "من فن الزخرفة، ثم تطورت في معارضتها للزخرفة لتصل إلى فن الديكور"⁹.

2.4 اصطلاحا:

"يعرف باتريس بافيس السينوغرافيا بأنها فن تزيين المسرح والديكور بالرسم عند الإغريق، حيث أنها في عصر النهضة كانت بمثابة تقنية تتمثل في رسم المنظور، وتلوين الستارة الخلفية، أما في المعنى الحديث فهي تعد علما وفنا لتنظيم الخشبة والفضاء المسرحي"¹⁰ فالسينوغرافيا هي فن تصميم وإعداد المشاهد والديكورات المرئية في الأعمال الفنية المسرحية والسينمائية والتلفزيونية والعروض المسرحية والأحداث الحية الأخرى. يشمل هذا التخصص تصميم المواقع والأماكن والمناظر الخلفية والعناصر البصرية الأخرى التي تساعد في خلق الجو والبيئة المناسبة للقصة أو الأداء.

حين أصبحت السينوغرافيا عام 1968 فنا مستقلا، تم الشطر في وظائفها وتعريفها فأصبحت تشمل كل ما نراه على الخشبة من: ديكور، أزياء، وأكسسوارات، إضاءة، ماكياج، أقنعة، وكذلك الممثل كلها بمثابة آلة في منتهى التناغم، تنقل الأحاسيس والعواطف

⁹ محمد ختاتنة قبلان، السينوغرافيا، دار زهدي للنشر والتوزيع، ط1، 2018، ص38.

¹⁰ Patris Pavis, Dictionnaire Du Theatre, Dunod, Paris ed ; 3, 1996, p314.

بمجموعة من العلامات البصرية، وجدت حتى يستطيع المتلقي فكها قصد تفسير النص الدرامي وبالأخص الرؤية الإخراجية وهكذا فان مهمة السينوغراف هي تحويل رؤية المخرج إلى واقع بصري من أجل إنشاء تجربة مرئية متكاملة.

تشمل مهام السينوغراف أيضًا تحليل النصوص والسيناريوهات لفهم متطلبات التصميم، واختيار المواد المناسبة وترتيبها، والتعاون مع فريق الإخراج وفريق التصميم الآخرين مثل مصممي الإضاءة والملابس لضمان التناغم العام في العمل الفني.

5. تأثير الرؤية الإخراجية على جوانب الإنتاج السينوغرافي:

في المسرح، الحدود بين المخرج والسينوغرافيا رفيعة. أحدهما يوجه الممثلين والآخر يوضعهم. ويجب أن تكون السينوغرافيا متناغمة مع النص والحكاية المسرحية، في القرن التاسع عشر، كان يجب على الديكور واقعيًا، حيث أن السينوغرافيا في هذه الحقبة كانت قبل كل شيء وصفية.

مثل المسرح التجريبي في القرن العشرين نقطة تحول حقيقية في السينوغرافيا حيث ظهرت رؤية جديدة للفضاء المسرحي جماليا وتقنيا، كما تعاون العديد من الفنانين في صياغة تصميمات جديدة ومبتكرة. على سبيل المثال، هناك أدولف آبيا الذي كرس جهده لتجنب تشتيت انتباه المشاهد بالزخارف المفرطة. حيث يسعى آبيا لتوجيه التركيز نحو الأداء نفسه، مما يساهم في تعزيز التجربة المسرحية.

من ناحية أخرى، يمكننا الإشارة إلى غوردن كريغ الذي أخذ التبسيط إلى أقصى حد، حيث يركز بشدة على إضاءة الممثلين ويستخدم الظلام بشكل مفرط لتعزيز التركيز على الأداء نفسه وإضفاء جو مناسب على العمل المسرحي.

في القرن العشرين، شكل كل من فيسيفولد مايرهولد وجوزيف سفوبودا أيضًا نقاط تحول في مجال السينوغرافيا. لقد تركوا بصماتهما من خلال تجاربهم وابتكاراتهم في تصميم الديكور والإضاءة، مما ساهم في تطور وتنوع هذا المجال الفني.

إن هؤلاء الفنانين جميعًا ساهموا بشكل كبير في تطوير وتنوع السينوغرافيا، وكل واحد منهم قدم نهجًا فريدًا لتحقيق الأهداف الفنية والتعبير عن الرؤية الإخراجية، ومع ذلك، فإن السينوغرافيا لم تعد تقتصر فقط على المسرح، فقد أضحت عملاً يمارس من طرف المهندسين المعماريين والمصممين...

6. العلاقة بين المخرج والسينوغراف:

العلاقة بين المخرج والسينوغراف هي تعاون مهم ومعقد في مجال الإنتاج المسرحي حيث يشترك المخرج والسينوغراف في تحقيق الرؤية المسرحية، ويمكن أن تتفاوت هذه العلاقة بناءً على النسب المختلفة من التشكيل والجوانب الدرامية التي يتعاملان معها، وتعد الرؤية الإخراجية سيدة العرض المسرحي، إذ أنها هي من ترسم الفضاء المسرحي وتشكله، من خلال السينوغرافيا، إذ أن الرؤية هي عبارة عن أفكار مجردة تترجم من طرف السينوغرافيا في الفضاء المسرحي على هذا المنوال:

التشكيل والتصميم الجمالي: المخرج يعمل مع السينوغراف على تطوير التشكيل الجمالي للمسرحية. يتناقشان حول الألوان والأشكال والأنماط التي ستستخدم في الديكور والملابس لتحقيق الرؤية الفنية المطلوبة.

- الجوانب الدرامية: المخرج يعمل على توجيه الأداء الدرامي للممثلين، ولكن السينوغراف يلعب دورًا حاسمًا في تقديم البيئة والمكان الذي سيتم فيه الأداء. يجب على السينوغراف تصميم الديكور والموقع بطريقة تعزز من الأداء الدرامي وتساهم في نقل الحكاية.

- التنسيق البصري: يتعين على المخرج والسينوغراف التعاون في تحقيق التناغم البصري للعرض. هذا يشمل استخدام الإضاءة والألوان والملاحم البصرية بطريقة تدعم العناصر الدرامية والتشكيل الفني.
- توجيه الجمهور: العرض المسرحي يعتمد أيضا على السينوغراف لتوجيه الجمهور إلى المكان والزمان الصحيحين للحكاية. السينوغراف يجب أن يخلق بيئة تعين الجمهور على فهم القصة ومتابعتها.
- التكامل الإبداعي: في النهاية، يتعاون المخرج والسينوغراف لتحقيق تجربة مسرحية متكاملة وإبداعية. يتطلب هذا التنسيق والتفاهم المستمر بينهما لضمان تحقيق الرؤية الإخراجية بشكل فعال.

4. خاتمة:

ان الخيال البشري هو ذلك الحيز الذي تولد فيه الأفكار، والواقع هو الحيز الذي تزهر فيه، وهذا ينطبق كذلك على خيال المخرج المسرحي، ففي خياله تولد الرؤية وفي الفضاء المسرحي تزهر، حيث تتحول إلى تجربة مرئية، ولن يتم ذلك الإزهار إلا بالوسائل السينوغرافية.

في النهاية، يمكن استنتاج أن العلاقة بين المخرج والسينوغراف هي علاقة تعاونية حيوية في مجال الإنتاج المسرحي. هذه العلاقة تعتمد على التفاهم المشترك والتنسيق الفعال بين المخرج والسينوغراف لتحقيق الرؤية الإخراجية وإعطاء الحياة للمسرحية. يعمل المخرج على توجيه الأداء الدرامي والجوانب الدرامية للعمل، بينما يقوم السينوغراف بإعداد الفضاء المسرحي وتصميم الديكور والعناصر البصرية التي تعزز من فهم الحكاية وكذا فك شيفراتها، ويتطلب هذا التعاون التنسيق بين التشكيل الجمالي والجوانب الدرامية والتنسيق البصري لتحقيق تجربة مسرحية متكاملة.

التناغم والتفاهم بين المخرج والسينوغراف يلعبان دورًا حاسمًا في نجاح العرض المسرحي وفهم الجمهور للقصة. هذه العلاقة تجمع بين الإبداع والمهارة والتفكير الاستراتيجي، مما يجعلها عنصرًا أساسيًا في صناعة المسرح والفنون المسرحية بشكل عام.

5. قائمة المراجع:

- Pavis, P. (1996). Dictionnaire Du Theatre. Paris, France: Dunod.
- ابن المنظور. (بلا تاريخ). لسان العرب. بيروت، لبنان: دار صادر.
- أمل، أ). الطبعة 1، (2009 نظرية فن الإخراج المسرحي) دراسة في إشكالية المفهوم (Vol. 1) (الدار البيضاء، المملكة المغربية: دار النشر المغربية.
- دين، أ. (1983). أسس الإخراج المسرحي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- سلمان، ع. أ. (2015). مفهوم الإخراج التلفزيوني وتطوره. مفهوم الإخراج التلفزيوني وتطوره. كلية الاعلام جامعة بغداد. (p. 98).
- قبلان، م. خ. (2018). السينوغرافيا. عمان، المملكة الاردنية الهاشمية: دار زهدي للنشر و التوزيع.
- قصاب، م. إ). ط2، (2006 المعجم المسرحي، مفاهيم ومصطلحات المسرح، وفنون المسرح. بيروت، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.
- مهدي، ي. ع. (2010). أقنعة الحداثة، دراسة تحليلية في تاريخ الفن المعاصر. بغداد: دار دجلة.
- نادية، ع. (2013/2014). تقنيات السينوغرافيا وعلاقتها بالرؤية الإخراجية، رسالة ماجستير. وهران، الجزائر.